المنهج

1) مفهوم المنهج:

كلمة المنهج تعني لغة الطريق. وترجع في أصلها اللغوي إلى الفعل (نَهَجَ) ومنه النهج، والمنهج، والمنهاج، أي الطريقة الواضح، ونهج الطريق أي أبانه وأوضحه أيضاً سلكه.

وفي الاصطلاح يعرف المنهج من ناحية الموضوع بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الكشف عن حقيقة معينة. ويكون ذلك عن طريق مجموعة من القواعد والوسائل التي يتبعها الباحث للوصول إلى هذه الحقيقة.

ومن الناحية الشكلية. فإن المنهج هو الإطار الذي توضع فيه البيانات والمعلومات والتي يتم تنظيمها والتعامل معها وفقاً لقواعد وإجراءات معينة.

ويشير استخدام المنهج العلمي – بصفة عامة إلى عمليتين رئيستين، هما الاستقراء، والاستنباط، أو التحليل والتركيب، حيث يمكن النظر إلى الاستقراء على أنه تحليل يمتد من المشخص إلى المجرد، من الظواهر إلى القانون العام، ومن الحالات التطبيقية لمبدأ إلى المبدأ ذاته، كما ينظر إلى الاستنباط على أنه انتقال من البسيط إلى المركب، من المبدأ إلى تطبيقات المبدأ، من القانون العام إلى الحالات الفردية التي تندرج تحته. وعامة يستخدم المنهج الاستقرائي بالعلوم التجريبية، والمنهج الاستنباطي بالرياضيات التي تبدأ طبقاً لفكرة التركيب — بأفكار أساسية قليلة وبديهيات، ثم تشيد بالتدريج علماً أكثر تركيباً دون استعانة بملاحظة أو تجربة، كما يمكن القول بأن النسق الاستنباطي يتلاءم والكتب المدرسية، بينما المعمل هو المكان الطبيعي للعمليات الاستقرائية. وغني عن البيان أن العلوم الطبيعية لا تعرف هذا الفصل بين ما هو استقرائي واستنباطي، والأحرى أن العلوم الطبيعية، بل وأغلب العلوم، تستخدم المنهج العلمي بشقيه الاستنباطي والاستقرائي، التحليلي والتركيبي معاً عند دراسة أية ظاهرة.

2) أنواع المناهج:

أ) المنهج الاستقرائي:

هو منهج البحث في العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء والأحياء، كما تستخدمه بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والنفس والاجتماع. يهدف إلى الكشف عن إطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها، ويستلزم هذا المنهج تطبيقاً دقيقاً واعياً لمجموعة من الخطوات والإجراءات يمكن تصنيفها في ثلاث مراحل هي: مرحلة الملاحظة والتجربة، ومرحلة تكوين الفروض العلمية، ومرحلة تحقيقها، أما الإجراءات فهي:

- الملاحظة وأدواتها المختلفة وتصنيف المشاهدات في ضوء التحليل والمقارنة.
- ثم اختيار الوقائع المتشابهة، وضع فروق تدور حول تعيين العلة أو القانون.
- التحقق باستخدام القواعد التجريبية
- الاستنباط وما يتعلق به من برهان وتفسير.
- ترتيب النتائج.
- صياغة القانون العلمي أو تكوين النظرية المناسبة في قضية.

وتنطوي هذه المراحل والخطوات الاستقرائية على الاعتقاد بمبادئ مثل مبدأ إطراد الحوادث في الطبيعة، ويمكن أن تخضع لتقويم فلسفة العلم ومناقشتها كما تخضع لنفس التقويم أدوات منهجية أخرى مثل الملاحظة طبيعتها وتأثرها بالنظريات السابقة التي يعتقد بها الباحث، الفروض وشروط تكوينها بصورة علمية، مشكلة الاستقراء والحلول المتاحة كلها، كما أن موقف العلماء المعاصرين من مراحل الاستقراء، وأهميته كمنهج، يكشف إلى حد بعيد مدى ما يمكن أن تسهم به فلسفة العلم في تطوير المنهج.

ب) المنهج الوصفي:

وتستخدمه العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ويعتمد على الملاحظة بأنواعها، بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات، ويعد المنهج الوصفي أكثر مناهج البحث ملاءمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم ظواهره واستخلاص سماته. ويأتي على مرحلتين [19]، الأولى: مرحلة الاستكشاف والصياغة التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي تلخيص تراث العلوم الاجتماعية فيما يتعلق بموضوع البحث، والاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية والعملية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة وتلقي الضوء عليها،

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة التشخيص والوصف، وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها تحليلاً يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها.

جـ) المنهج التاريخي:

هو منهج تعول عليه العلوم التي تدرس الماضي بسجلاته ووثائقه، ويعتمد هذا المنهج على الجمع والانتقاء والتصنيف وتأويل الوقائع، ومن ثم كان العمل الأول للمؤرخ هو الاهتداء إلى الواقعة التي اختفت في الماضي والتثبت منها، إذ أنها نقطه البدء في المنهج التاريخي نتعقبها في الوثيقة، وتناول الوثائق بالدراسة والتحليل عمل نقدي بالدرجة الأولى، وللنقد التاريخي مرحلتان:

- التثبت من صحة الوثيقة والاستعانة بمجموعة من العلوم المساعدة.
- التثبت من الواقعة في إطار نقد وثائق لا إرادية تدور حولها.

أما العمل الثاني للمؤرخ فهو عملية التركيب التاريخي حين ندمج الوقائع في مجموع حضاري شامل يدور في الوقت نفسه في سباق زمني واحد.

وهنا يثير التأريخ والعمل بالمنهج التاريخي نقاشاً حول بعض التصورات التي تهتم بها فلسفة العالم مثل: فكرة اتصال التاريخ، منطق التاريخ، الفهم والتفسير لما بين الوقائع من وجوه للشبه أو الاختلاف، السبب والنتيجة، الحشية التاريخية، مدى تحقق الموضوعية في دراسة التاريخ، وضعية التاريخ.

د) منهج دراسة الحالة:

منهج دارسة الحالة في البحث العلمي هو أحد المناهج البحثية والذي من خلاله يمكن جمع البيانات ودراستها بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقاتها المتنوعة وأوضاعها الثقافية. فهو أحد مناهج الدراسات الوصفية وأسلوب من أساليب البحث الوصفي الذي يزود الباحث ببيانات كمية وكيفية عن عوامل متعددة تتعلق بفرد أو مؤسسة أو عدد قليل من الأفراد. كما يقوم أسلوب دراسة الحالة على جمع البيانات والمعلومات عن حالة فردية واحدة أو عدد من الحالات من أجل الوصول إلى فهم أعمق للظاهرة المدروسة وما يشبهها من ظواهر أخرى. ويعتمد هذا المنهج على الخطوات التالية:

1. اختيار الظاهرة أو المعضلة، أو الحالة التي يرغب الباحث في إخضاعها للدراسة.
2. تخصيص المفاهيم، وصياغة الفرضيات العلمية.
3. التعريف بعينة الدراسة، والمتمثلة في الحالة.
4. اختيار الوسائل المناسبة لجمع البيانات (مقابلة، ملاحظة، وغيرها).
5. حصر البيانات، تدوينها، وتحليلها.
6. التوصل إلى نتائج، وصياغة توصيات بناءً عليها.

ويتم جمع البيانات في منهج دراسة الحالة من خلال الاستعانة بمجموعة من الأدوات، من أهمها:

1. الملاحظة.
2. المقابلات.
3. الفحوص والاختبارات.
4. الاعتماد على الوثائق والسجلات.

أولاً: الملاحظة:

- على الباحث الذي يستخدم منهج دراسة الحالة أن يعمد إلى الملاحظة المباشرة لكي يلاحظ الشخص وتصرفاته وخصائصه.
- يتوجب على الباحث مشاهدة المنطقة التي يسكن فيها الشخص محل الدراسة، ونوع السكن الذي يقطنه ويزور الأسرة ويشاهد معيشتهم على الطبيعة ويلاحظ تصرفات الأبوين والإخوة ويقيم العلاقات داخل الأسرة.

ثانياً: المقابلات

- يمكن للباحث عند استخدام منهج دراسة الحالة أن يجري مقابلات مع الأشخاص الذين يمتلكون معرفة وثيقة بالحالة محل الدراسة.
- فإذا كان الباحث يقوم بدراسة شخصية محددة يمكن له مقابلة الأبويين والأصدقاء والمديرين في العمل أو المدرسة ومعلميه وغيرهم من الذين لهم تواصل مع الشخص محل الدراسة. والذين من المحتمل أن يقدموا له معلومات قد تساعده في تفسير حالة الفرد محل الدراسة.

ثالثاً: الفحوص والاختبارات

- على الرغم من أن منهج دراسة الحالة أحد الدراسات الوصفية الغير كمية إلا أن الباحث يستطيع اللجوء إلى المعلومات الكمية أيضاً.
- يمكن إحالة الشخص إلى طبيب أو أخصائي لإجراء التحليلات التفصيلية الصحية للشخص، أو إخضاعه للاختبارات النفسية والعقلية للحصول على مؤشرات كمية عن حالة الشخص محل الدراسة.

رابعاً: الاعتماد على الوثائق والسجلات:

- يستطيع الباحث الاستفادة من السجلات والوثائق عند استخدام منهج دراسة الحالة في البحث العلمي والتي قد تلقي الضوء على الحالة.
- يمكن للباحث الاطلاع على السجلات المدرسية والصحية أو السجلات الرسمية مثل المحاضر والوثائق الموجودة في المؤسسات وغيرها لتمكنه من الحصول على المعلومات التي تفيدة في دراسة الحالة.

وعلى الرغم من وجود مميزات لمنهج دراسة الحالة في البحث العلمي إلا أنه يشوبه بعض العيوب، والتي تتمثل في:

- صعوبة تعميم نتائج منهج دراسة الحالة على حالات أخرى مشابهة للظاهرة محل الدراسة.
- تحيز الباحث في بعض الأحيان عند تحليل وتفسير نتائج الظاهرة المدروسة، الأمر الذي يجعل الباحث عنصرا غير محايد، مما يجعل النتائج تبتعد عن الموضوعية.
- وجود عنصر الذاتية والحكم الشخصي في اختيار الحالات وفي جمع البيانات والمعلومات، مما يجعل منهج دراسة الحالة يفتقر إلى الموضوعية.
- عدم صحة البيانات المجمعة أحياناً، لأن الشخص المبحوث قد يتعاطف مع الباحث بالمعلومات التي يرى أنها ترضى القائم على البحث وليس بالضرورة كما حدثت. وقد يندفع إلى المبالغة والتركيز على الجوانب التي تدعم موقفه، ويتجنب الجوانب التي تتناقض معه.

أمثلة دراسات منهج دراسة الحالة:

1. دراسة تحت عنوان "العلاقة التكاملية بين إدارة الجودة الشاملة وتحسين الأداء (دراسة تطبيقية في مستشفى جامعة العلوم والتكنولوجيا).
2. تقييم جودة العلمية التعليمية في جامعة عدن حالة كلية العلوم الإدارية.
3. دور نظم المعلومات في إدارة المؤسسات الحكومية حالة وزارة التربية والتعليم في الجزائر.